

الفرج بعد الشدة

[100] أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته إليه ففضه وقرأه، ولما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتداء فحلف أيماننا غليظة فيها الطلاق، والعتاق، والحج، والصدقة، والوقف، والحبس، ان لا يجتمع منهم اثنان في موضع، وأن ينصرفوا ويدخلوا غلماننا وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم أحد إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه. وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمسير إلى بابه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا، وما بي حاجة أن يصحبني غلام. هات إقيادك يا منارة فدعوت بها وانت في سبط، واحضر حدادا ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلمانني بحمله حتى حصل في المحمل، وركبت الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتداء يحدثني بانسباط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة فقال لي: ترى هذا ؟. قلت: نعم قال: إنه لي ولي فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت، ثم انتهى إلى بستان آخر. فقال لي فيه مثل ذلك، ثم انتهينا إلى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لي ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشد غيظي منه فقلت له: علمت أني شديد التعجب منك ! قال: فلم ؟ قلت. ألسنت تعلم أن أمير المؤمنين قد أهماه أمرك حتى انفذ اليك من انتزعك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيدا فريدا مقيدا لا تدري ما تصير إليه، ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا، تصف بسا تينك وضياعك هذه، وأنت ساكن القلب قليل الفكر ؟ فقال لي مجيبا: إنا   وإنا إليه راجعون أخطأت فراستي فيك قدرتك رجلا كامل العقل، وإنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم وإنا المستعان، أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتني هذه فإنني على ثقة بـ  عزوجل الذي بيده ملكوت السموات والارض شاهد كل نجوى، وكاشف كل بلوى، وحاضر كل سريرة، وبيده ناصية أمير المؤمنين لا يملك معه لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بإذن   ومشيتته، ولا ذنب
